عبد اللّه بن المبارك

مواقف ومواعظ
من حياة التابعين

[1]

عبد الله بن المبارك

عبد الله بن المبارك

عالم من أهل خراسان

ولد لثمان عشرة ومائة من الهجرة.

وقيل: تسع عشرة.

كان أبوه تركيًا عند رجل - مولى لرجل - من التجار من بنى حنظلة.

كانت أمه تركية خوارزمية.

يكنى أبا عبد الرحمن.

صنف ابن المبارك كتابًا سماه: كتاب البر والصلة.

كانت دار عبد الله بن المبارك بمرو كبيرة صحن الدار نحو خمسين ذراعًا في خمسين ذراعًا.

بدء زهده:

سئل عبد الله بن المبارك عن بدء زهده فقال:

- كنت يومًا مع إخواني في بستان لنا، وذلك حين حملت الثمار من ألوان الفواكه، فأكلنا، وشربنا حتى الليل فنمنا، وكنت مولعًا بضرب العود والطنبور - آلة من آلات العزف والطرب -، فقمت فى بعض الليل فضربت بصوت يقال له نراشين السحر، وأراد سنان يغنى، وطائر يصيح فوق رأسي على شجرة، والعود بيدي لا يجيبني إلى ما أريد، وإذا به ينطق كما ينطق الإنسان - يعنى العود الذي بيده - ويقول:

{أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ} [سورة الحديد الآية: ١٦].

قلت:

- بلى والله.

وكسرت العود، وصرفت من كان عندي، فكان هذا أول زهدي وتشميري.

أراد عبد الله بن المبارك أن يضرب هذا الشعر بالعود:

::
:
ألم يأن لي منك ترحما :: وتعص العواذل واللوما
وترثى لصب بكم مغرم : أقام على هجركم مأتما
وماذا على الظبي لو أنه :: أحل من الوصول ما حرما
ببيت إذا جنَّه ليله : يُراعى الكواكب والأنجما
::
:

ولكل العود أبى إلا أن يقول:

{أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ} [سورة الحديد الآية: ١٦]، ففعلت الآية بعبد الله بن المبارك الأفعاعيل جعلت روحه ترفرف كالطائر الذي ينفض عن جسده ندى الصباح وتسلل إلى قلبه نور ملأ صدره وخيل إليه أنه يحلق في ملكوت السماوات وشعر بحلاوة الإيمان تغمره.

واجتمع في دار عبد الله بن المبارك كل صاحب علم أو صاحب عبادة أو رجل له مروءة وقدر بمرو وأدرك ابن المبارك جماعة من التابعين منهم هشام بن عروة بن الزبير، وإسماعيل بن أبي خالد، والأعمش، وسليمان التميمي، وحميد الطويل، وعبد الله بن عون، وخالد الحذاء، ويحيى بن سعيد، وموسى بن عقبة وغيرهم من أئمة التابعين.

وكان عبد الله بن المبارك موصوفًا بالحفظ والفقه والعربية والزهد والكرم والشجاعة والشعر له التصانيف الحسان، والشعر الحسن المتضمن حكمًا جمة.

وكان ابن المبارك كثير الحج والغزو.

وكان رأس ماله نحو أربعمائة ألف يدور يتجر به في البلدان، إذا اجتمع بعالم أحسن إليه، وكان يربو كسبه في كل سنة على مائة ألف ينفقها كلها في أهل العبادة والزهد والعلم، وربما أنفق من رأس ماله.

قيل:

إنه لم يدخل الحمام قط.

وقيل: إنه لم يفطر قط، ولا رئي إلا صائمًا.

كان كل يوم يجتمع في داره خلق يتذاكرون حتى إذا خرج ابن المبارك انضموا إليه.

الخروج إلى الكوفة:

ترك عبد الله بن المبارك مرو وصار إلى الكوفة فنزل في دار صغيرة، وكان يخرج إلى الصلاة ثم يرجع إلى منزله لا يكاد يخرج عنه ولا يأتيه كثير من الناس.

قال له أحد أصحابه:

- يا أبا عبد الرحمن ألا تستوحش هاهنا مع الذي كنت فيه بمرو؟

فقال عبد الله بن المبارك:

- إنما فررت من مرو من الذي تراك تحبه، وأحببت ما هاهنا للذي أراك تكرهه لي، فكنت بمرو لا يكون أمرًا إلى أتوني فيه ولا مسألة إلا قالوا: اسألوا ابن المبارك، وأنا هاهنا في عافية من ذلك.

هذا والله هو الملك:

ذات يوم قدم عبد الله بن المبارك مرو الرقة، وبها أمير المؤمنين هارون الرشيد، فلما رأى الناس عبد الله بن المبارك، احتفلوا به وانفلوا خلفه وتقطعت النعال وارتفعت الغبرة، وازدحم الناس حول عبد الله بن المبارك.

فأشرفت أم ولد أمير المؤمنين هارون الرشيد من برج من قصر الخشب فتساءلت:

- ما للناس؟ ما هذا؟

قالوا:

- قدم رجل من علماء خراسان يقال له عبد الملك بن المبارك فانجفل الناس إليه.

قالت المرأة:

- هذا والله هو الملك، لا ملك هارون الرشيد الذي يجمع الناس عليه بالسوط والعصا والرغبة والرهبة، لا يجمع الناس إلا بشرط وأعوان.

ادفع إليه عشرة دراهم:

ذات ضحى سأل سائل عبد الله بن المبارك فأعطاه درهمًا، فقال له بعض أصحابه:

- إن هؤلاء يأكلون الشواء، والفالوذج - حلواء تصنع من الدقيق والماء والعسل - وقد كان يكفيه قطعة - دانق -.

فقال عبد الله بن المبارك:

- فأما إذا كان الفالوذج والشواء فإنه درهم.

ثم أمر ابن المبارك بعض غلمانه وقال:

- ردوه، وادفع إليه عشرة دراهم.

أخلاق المؤمن:

كان لعبد الله بن المبارك جار يهودي، فأراد أن يبيع داره فقيل له:

- بكم تبيع؟

قال اليهودي:

- بألفين.

فقيل له:

- إن الدار لا تساوي إلا ألف درهم.

قال اليهودي:

- صدقتم، ولكن ألف للدار، وألف لجوار عبد الله بن المبارك.

فلما علم أبو عبد الرحمن بذلك دعا اليهودي وأعطاه ثمن الدار وقال له:

- لا تبعها.

من الناس؟

سأل سنيد بن دواد أبا عبد الرحمن:

- من الناس؟

قال عبد الله بن المبارك:

- العلماء.

فقال سنيد بن داود:

- فمن الملوك؟

قال ابن المبارك:

- الزهاد.

فتساءل سنيد بن داود:

- فمن السفلة؟

قالب أبو عبد الرحمن:

- الذين يأكلون الدنيا بالدين.

وقيل لابن المبارك:

- من أئمة الناس؟

قال أبو عبد الرحمن:

- سفيان - سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري - وذووه.

فقيل له:

- من سفلة الناس؟

قال عبد الله بن المبارك:

- الذين يعيشون بدينهم - من يأكل الدنيا بدينه -.

ما العيش إلا هكذا:

خرج ابن المبارك ومعه أحد أصحابه يومًا على سقاية - موضع السقى، أو ما يبنى لجمع الماء -، والناس يشربون منها، فدنا منها ليشرب، ولم يكن أحد يعرفه عند هذا الماء، فزاحموه ودفعوه.

فلما خرج لصاحبه قال:

- ما العيش إلا هكذا - يعني حيث لم تعرف ولم توقر -.

الحمام:

رأى الحسن في منزل أبي عبد الرحمن حمامًا طيارة - طائرة - فقال عبد الله ابن المبارك:

- قد كنا ننتفع بفراخ هذه الحمام، فليس ننتفع بها اليوم.

فقال الحسن:

- ولم ذلك؟

قال عبد الله بن المبارك:

- اختلطت بها حمام غيرها فتزاوجت بها فنحن نكره أن ننتفع بشيء من فراخها من أجل ذلك.

هذا أفضل من حجنا:

خرج عبد الله بن المبارك ووكيله وأصحابه ذات يوم إلى الحج، فاجتازوا ببعض البلاد، فمات طائر معهم، فأمر أبو عبد الرحمن بإلقائه على مزبلة هناك، وتقدم أصحاب ابن المبارك أمامه وتخلف هو ووكيله وراءهم، فلما مرا بالمزبلة إذ جارية قد خرجت من دار قريبة منها فأخذت ذلك الطائر الميت، ثم لفته وأسرعت به إلى الدار، فتعجب ابن المبارك، ثم سار نحو الدار، وسألها عن أمرها وأخذها ذلك الطائر الميت فقالت:

- أنا وأخي هنا ليس لنا شيء إلا هذا الإزار، وليس لنا قوت إلا ما يلقى على هذه المزبلة، وقد حلت لنا الميتة منذ أيام، وكان أبونا له مال فظلم وأخذ ماله وقتل.

فأمر عبد الله بن المبارك برد الأحمال وقال لوكيله:

- كم معك من النفقة؟

قال:

- ألف دينار.

قال أبو عبد الرحمن:

- عد منها عشرين دينارًا تكفينا إلى مرو واعطها الباقي، فهذا أفضل من حجنا في هذا العام.

ثم رجع.

* وقيل:

كان عبد الله بن المبارك صديقًا لأبي حنيفة، وكان يحج سنة ويغزو أخرى ولما كانت السنة التي يحج فيها أبو عبد الرحمن، خرج بخمسمائة دينار إلى موقف الجمال بالكوفة ليشتري جملاً، فرأى ابن المبارك امرأة على بعض الطرق تنتف ريش بطة، حسبها ميته، فتقدم ابن المبارك إليها وقال:

- لم تفعلين هذا؟

قالت المرأة:

- يا عبد الله لا تسألني عما لا يعنيك.

فوقع في خاطر أبي عبد الرحمن من قولها شيء، فألح عليها فقالت:

- يا عبد الله ألجأتني إلى كشف سر إليك.

ثم تنهدت وقالت:

- يرحمك الله، أنا امرأة علوية، ولي أربع بنات، مات أبوهم من قريب، وهذا اليوم الرابع ما أكلن شيئًا، وقد حلت لنا الميتة، فأخذت هذه البطة أصلحها وأحملها إلى بناتي.

فقال أبو عبد الرحمن في نفسه:

- ويحك يا ابن المبارك، أين أنت من هذه؟

ثم قال عبد الله بن المبارك للمرأة:

- ابسطي حجرك.

فبسطت حجرها، فصب أبو عبد الرحمن الدنانير في طرف إزارها وهي مطرقة لا تلتفت.

فقال عبد الله بن المبارك:

- عودي إلى بيتك، فاستعيني بهذه الدنانير على إصلاح شأنك.

ونزع الله عز وجل من قلب أبي عبد الرحمن شهوة الحج في هذا العام.

ثم تجهز إلى بلاده، وأقام حتى حج الناس وعادوا، فخرج والتقى بجيرانه وأصحابه:

فصار كل من يقول له:

- قبل الله حجتك وشكر سعيك.

فقالوا لابن المبارك:

- وأنت قبل الله حجتك وسعيك، إنا قد اجتمعنا بك في مكان كذا وكذا.

وأكثر الناس على ابن المبارك في القول.

فبات مفكرًا، فرأى النبي ﷺ في المنام وهو يقول له:

- يا عبد الله لا تعجب فإنك أغثت ملهوفة من ولدي، فسألت الله أن يخلق على صورتك ملكًا يحج عنك.

سفرة ابن المبارك:

كانت سفرة ابن المبارك تحمل على بعير وحدها، وفيها أنواع المأكول من اللحم والدجاج والحلوى وغير ذلك، ثم يطعم الناس وهو الدهر صائم في الحر الشديد.

إذا عزم ابن المبارك على الحج:

قال محمد بن علي بن الحسن بن شقيق:

- سمعت أبي يقول: كان ابن المبارك إذا كان وقت الحج اجتمع إليه إخوانه من أهل مرو فيقولون:

- نصحبك يا أبا عبد الرحمن.

فيقول لهم:

- هاتوا نفقتكم، من عزم منكم في هذا العام على الحج فليأتي بنفقته حتى أكون أنا أنفق عليه.

فكان يأخذ منهم نفقاتهم ويكتب على كل صرة اسم صاحبها ويجمعها ويجعلها في صندوق ويغلق عليها، ثم يكترى لهم - يؤجر لهم جمالاً - ويخرجهم من مرو إلى بغداد، ثم يخرج بهم في أوسع ما يكون من النفقات، والركوب ويخرجهم من بغداد بأحسن زي وأكمل مروءة، ويطعمهم أطيب الطعام وأطيب الحلواء.

فإذا وصلوا مدينة رسول الله ﷺ قال لكل رجل منهم:

- ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من المدينة، من طرفها؟

فيقول: كذا.

ثم يخرجهم إلى مكة.

فإذا وصلوا مكة وقضوا حجهم، قال لكل حاج منهم:

- ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من متاع مكة؟

فيقول: كذا وكذا.

فيشتري لكل واحد منهم حتى يصيروا إلى مور، فإذا وصلوا إليها جصص أبوابهم ودورهم وبيضت، فإذا كان ثلاثة أيام عمل وليمة وكساهم، فإذا أكلوا وشربوا، دعا بذلك الصندوق ففتحه وأخرج منه تلك الصرر، ودفع إلى كل رجل منه صرته، فيأخذها وينصرف إلى منزله وهو شاكر ناشر لواء الثناء والحمد.

زل حمار العلم؟

قيل لعبد الله بن المبارك:

- إن إسماعيل بن علية قد ولى الصدقات.

فكتب ابن المبارك إلى إسماعيل بن علية:

::
:
::

يا جاعل العلم له بازيا : يصطاد أموال المساكين
احتلت للدنيا ولذاتها :: بحيلة تذهب بالدين
فصرت مجنونًا بها بعد ما : كنت دواء للمجانين
أين رواياتك في سردها :: عن ابن عون وابن سيرين؟
أين رواياتك والقول في : لزوم أبواب السلاطين؟
إن قلت أكرهت فماذا كذا :: زل حمار العلم في الطين

:
::
:

فلما قرأ إسماعيل بن علية كتاب أبي عبد الرحمن بكى، واستعفى - طلب من الخليفة إعفائه من ولاية الصدقات -.

خوفنا... وبشرنا:

قال عبد الله بن المبارك:

إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الأحبار - كان حبرًا من يهود وأسلم -:

- خوفنا يا كعب.

قال كعب الأحبار:

- والله إن لله لملائكة قيامًا خلقهم الله ما ثنوا أصلابهم، وآخرين ركعوا ما رفعوا أصلابهم، وآخرين سجدوا ما رفعوا رءوسهم حتى ينفخ في الصور النفخة الآخرة فيقولون جميعًا: سبحانك وبحمدك ما عبدناك كما ينبغي لك أن تعبد.

ثم قال:

- والله لو أن لرجل يومئذ كعمل سبعين نبيًا لاستقل عمله من شدة ما يرى يومئذ، والله لو دلى من غسلين دلة واحد في مطلع الشمس لفلت منه جماجم قوم في مغربها، والله لتزفرن جهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا غيره إلا خر جاذبًا أو جاثيًا على ركبتيه يقول:

نفسي نفسي، وحتى نبينا وإبراهيم وإسحاق يقول: رب أنا خليلك إبراهيم.

فأبكى الفاروق ومن معه حتى نشجوا - النشيج: أشد البكاء -.

فلما رأى عمر ذلك قال:

- يا كعب... بشرنا.

فقال كعب الأحبار:

- أبشروا فإن لله تعالى ثلاثمائة وأربع عشر شريعة لا يأتي أحد بواحدة منهن مع كلمة الإخلاص - لا إله إلا الله - إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته، والله لو تعلمون كل رحمة الله تعالى لأبطأتم في العمل، والله لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت من هذه السماء الدنيا في ليلة ظلماء مغدورة - مظلمة - لأضاءت لها الأرض أفضل مما يضيء القمر ليلة البدر، ولوجد ريح نشرها جميع أهل الأرض، والله لو أن ثوبًا من ثياب أهل الجنة نشر اليوم في الدنيا لصعق من ينظر إليه ما حملته أبصارهم (أخرجه أبو نعيم في الحلية).

في طرسوس:

كان أبو عبد الرحمن كثير الاختلاف إلى طرسوس، وكان ينزل الرقة في خان الذي للتجار، وكان شاب يختلف إليه ويقوم بحوائجه ويسمع منه الحديث.

وقدم ابن المبارك الرقة مرة فلم ير ذلك الشاب، وكان مستعجلاً، فخرج في النفير - القوم الذين يخرجون إلى الجهاد -، فلما رجع من غزوته، وعاد إلى الرقة سأل عن ذلك الشاب فقالوا:

- إنه محبوس لدين ركبه.

فتساءل ابن المبارك:

- وكم مبلغ دينه؟

قالوا:

- عشرة آلاف درهم.

فما زال أبو عبد الرحمن يسأل حتى دل على صاحب الدين، فدعا به ليلاً ووزن له عشرة آلاف درهم وحلفه أن لا يخبر أحدًا ما دام ابن المبارك حيًا، وقال:

- إذا أصبحت فأخرج الشاب من الحبس.

وأدلج - سار ليلاً - أبو عبد الرحمن، وأخرج الشاب من الحبس، وقيل له:

- عبد الله بن المبارك كان هاهنا وكان يذكرك، وقد خرج.

فخرج الشاب في أثر أبي عبد الرحمن فلحقه على مرحلتين أو ثلاث من الرقة، فقال:

- يا فتى أين كنت؟ لم أرك في الخان - الفندق -.

قال الشاب:

- نعم يا أبا عبد الرحمن كنت محبوسًا بدين.

قال عبد الله بن المبارك:

- وكيف كان سبب خلاصك؟

قال الشاب:

- جاء رجل وقضى ديني ولم أعلم به حتى أخرجت من الحبس.

فقال أبو عبد الرحمن:

- يا فتى احمد الله على ما وفق لك من قضاء دينك.

(فلم يخبر بذلك الرجل - صاحب الدين - أحدًا إلا بعد موت ابن المبارك فبر بقسمه).

* ومر أبو أسامة بعبد الله بن المبارك بطرسوس وهو يحدث إلى أصحابه، فقال:

- يا أبا عبد الرحمن إني لأنكر هذه الأبواب والتصنيف الذي وضعتم، ما هكذا أدركنا المشيخة.

فأضرب أبو عبد الرحمن عن الحديث نحوًا من عشرين يومًا.

ثم مر به أبو أسامة وقد احتشوه - جعلوه وسطهم - وهو يحدث، فقال أبو أسامة:

- السلام عليكم.

فقال ابن المبارك:

- وعليكم.

فقال أبو عبد الرحمن:

- شهوة الحديث.

فقيه العرب:

قال محمد بن المعتمر لأبيه سليمان:

- يا أبت من فقيه العرب؟

قال سليمان:

- سفيان الثوري.

فلما مات سفيان بن سعيد الثوري قال محمد بن المعتمر لأبيه:

- من فقيه العرب؟

قال سليمان:

- عبد الله بن المبارك.

أذهب مع الصحابة والتابعين:

كان عبد الله بن المبارك إذا انتهى من صلاته أسرع إلى داره، فقالوا له:

- إذا صليت معنا لم لا تجلس معنا؟

قال أبو عبد الرحمن:

- أذهب مع الصحابة والتابعين.

فقالوا:

- ومن أين الصحابة والتابعين؟

قال أبو عبد الرحمن:

- أذهب أنظر في علمي فأدرك آثارهم وأعمالهم فما أصنع معكم؟ أنتم تغتابون الناس.

فإذا كان سنة ثمانين فالبعد من كثير من الناس أقرب إلى الله، وفر من الناس كفرارك من الأسد، وتمسك بدينك يسلك لك مجهودك.

فقال رجل:

- يا أبا عبد الرحمن في أي شيء أجعل فضل يومي، في تعلم القرآن أو في طلب العلم؟

قال عبد الله بن المبارك:

- هل تقرأ من القرآن ما تقيم به صلاتك؟

قال الرجل:

- نعم.

قال ابن المبارك:

- فاجعله في طلب العلم الذي يعرف به القرآن.

فقال رجل:

- يا أبا عبد الرحمن.

- ممن تستفيد؟

قال عبد الله بن المبارك:

- من كتبنا.

قال أبو إسحاق الطالقاني:

- يا أبا عبد الرحمن: الرجل يصلي عن أبويه؟ سمعت حديثًا:

فقال ابن المبارك:

- من يرويه؟

قال: أبو إسحاق الطالقاني:

- شهاب بن خراس.

قال عبد الله بن المبارك:

- ثقة، عمن؟

قال أبو إسحاق:

- عن النبي ﷺ.

قال ابن المبارك:

- بين النبي ﷺ وبين الحجاج مفاوز تنقطع فيها أعناق الإبل.

فقال أبو إسحاق:

- هل بقى من ينصح؟

قال أبو عبد الرحمن:

- فهل بقى من يقبل؟

فقال رجل:

- ما ينبغي للعالم أن يتكرم عنه؟

قال ابن المبارك:

- ينبغي أن يتكرم عما حرم الله تعالى عليه، ويرفع نفسه عن الدنيا فلا تكون منه على بال.

فقال الرجل:

- ما ينبغي أن يجعل عظة شكرنا له؟

قال أبو عبد الرحمن:

- زيادة آخرتكم ونقصان دنياكم، وذلك أن زيادة آخرتكم لا تكون إلا بنقصان دنياكم، وزيادة دنياكم لا تكون إلا بنقصان آخرتكم.

رفيق موسى بن عمران في الجنة:

قال عبد الله بن المبارك:

قال كليم الله:

- يا رب أرني رفيقي في الجنة.

وبينما موسى عليه السلام يسير نحو غايته، لقى شابًا، فسلم عليه، وقال له موسى عليه السلام:

- يا عبد الله أنا ضيفك الليلة.

قال الشاب:

- يا هذا، إن رضيت بما عندي أنزلتك وأكرمتك.

فقال كليم الله:

- قد رضيت.

وكان الشاب يعمل قصابًا - جزارًا -، فأخذ موسى عليه السلام ومضى إلى حانوته، وأجلسه حتى فرغ من بيعه، وكان لا يمر بلحم ولا مخ إلا عزله، فلما كان وقت الانصراف، أخذ بيد كليم الله وانطلق به إلى منزله، وطبخ المخ والشحم، وتقدم نحو قفة فيها شيخ كبير قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وأخرجه من القفة، وغسل وجهه وثيابه وجففها، ثم ألبسه إياها، وعمد إلى خبز ففته وصب عليه الشحم والمخ، وأطعم الشيخ حتى شبع، ثم سقاه حتى روى، ثم رده إلى القفة فقال الشيخ:

- لا خيب الله لك سعيًا يا ولدي وجعل ابن عمران رفيقك في الجنة.

ثم تقدم نحو قفة ثانية وفعل بها ما فعل بالأولى كانت فيها أمه.

فبكى موسى عليه السلام رحمة بهما.

وقدم الشاب إلى موسى طعامًا فقال:

- يا أخي ما أنا في حاجة إلى طعامك، ولكنى سألت الله أن يريني رفيقي في الجنة.

فتساءل الشاب:

- من أنت يرحمك الله؟

قال كليم الله:

- أنا نبي الله موسى.

فخر الشاب مغشيًا عليه، ولما أفاق دخل على والديه وأخبرهما أن الله قد استجاب دعاءهما وأن هذا الضيف هو كليم الله، قد أخبر بذلك من رب العالمين.

والي مرو في بيت عبد الله بن المبارك:

جاء عبد الله بن أبي العباس الطرسوسي وكان واليًا بمرو إلى منزل عبد الله بن المبارك ليلاً، وكان معه كاتبه والدواة والقرطاس معه، فسأل أبا عبد الرحمن عن حديث فأبى ابن المبارك أن يحدثه، فسأل عن حديث فأبى ابن المبارك أن يحدثه، فسأل عن حديث آخر فأبى عبد الله بن المبارك أن يحدثه، ثلاث مرات.

فقال والي مرو لكاتبه:

- اطو قرطاسك، ما أرى أبا عبد الرحمن يرانا أهلاً أن يحدثنا.

فلما قام، قام معه ابن المبارك ومشى معه إلى باب الدار فقال له:

- يا أبا عبد الرحمن لم ترنا أهلاً أن تحدثنا وتمشي معنا؟

قال عبد الله بن المبارك:

- إني أحببت أن أذل لك بدني ولا أذل لك حديث رسول الله ﷺ.

علام الهم؟

مر أبو عبد الرحمن على رجل تنطق عيناه بالحزن، ويكسى وجهه الهم فقال له ابن المبارك:

- أيها الرجل إني سائلك عن ثلاث فأجبني.

فقال الرجل:

- سل.

قال عبد الله بن المبارك:

- أيجري في هذا الكون شيء لا يريده الله عز وجل؟

قال الرجل:

- كلا.

قال أبو عبد الرحمن:

- أينقص من أجلك لحظة كتبها الله لك في الحياة؟

قال الرجل:

- كلا.

فتساءل عبد الله بن المبارك:

- فعلام الهم إذن؟

لا تجالس السفهاء:

قال أبو عبد الرحمن:

لما استخلف داود إبنه سليمان عليهما السلام وعظه فقال:

- يا بني إياك والهزل، فإن نفعه قليل، ويهيج العداوة بين الإخوان.

وإياك والغضب، فإن الغضب يستخف فؤاد الرجل الحليم، وإذا غضبت فالصق نفسك بالأرض، أو تحول من مكانك.

وعليك بتقوى الله وطاعته، فإنهما يغلبان كل شيء.

وإياك وكثرة الغيرة على أهلك من غير شيء، فإن ذلك يورث سوء الظن بالناس وإن كانوا أبرياء، واقطع طمعك عن الناس، فإنه هو الغني.

وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر.

وإياك وما يعتذر منه من القول والفعل.

وعود نفسك ولسانك الصدق.

والزم الإحسان.

وإن استطعت أن تجعل يومك خيرًا من أمسك فافعل.

وصل صلاة مودع.

ولا تجالس السفهاء.

ولا ترد على عالم، ولا تماره - تجادله - في الدين.

وارج رحمة ربك، فإنها واسعة، وسعت كل شيء.

خشية الله:

قال القاسم بن محمد:

كنا نسافر مع ابن المبارك، كثيرًا ما كان يخطر ببالي فأقول في نفسي:

- بأي شيء فضل هذا الرجل علينا حتى اشتهر في الناس هذه الشهرة؟ إن كان يصلي إنا لنصلي، إن كان يصوم إنا لنصوم، وإن كان يغزو فإنا لنغزو، وإن كان يحج إنا لنحج.

وكانوا في بعض مسيرهم في الطريق إلى الشام ذات ليلة يتعشون في بيت، إذ طفئ السراج فقام بعضهم فأخذ السراج وخرج يستصبح - أوقد المصباح، والمراد خرج يبحث عما يقود به السراج - فمكث هنيئة ثم جاء بالسراج، فنظر القاسم بن محمد إلى وجه عبد الله بن المبارك ولحيته فرأى الدموع تتقاطر منها.

فقال القاسم بن محمد في نفسه:

- بهذه الخشية فضل هذا الرجل علينا، ولعله حين فقد السراج ورأى الظلمة ذكر القيامة.

ماء زمزم لما شرب له:

لما ذهب ابن المبارك إلى مكة أتى زمزم فاستسقى، ثم استقبل الكعبة فقال:

- اللهم أن ابن أبي الموالي حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جبار عن النبي ﷺ أنه قال:

- **ماء زمزم لما شرب له** (رواه ابن ماجه في المناسك، والإمام أحمد في المسند).

وهذا أشربه لعطش يوم القيامة.

ثم شرب أبو عبد الرحمن.

أعلم أهل المشرق والمغرب:

ذهب عمران بن موسى الطرسوسي إلى سفيان الثوري وسأله عن مسألة، فقال سفيان:

- من أين أنت؟

- قال عمران:

- من أهل المشرق.

قال سفيان بن سعيد:

- أو ليس عندكم أعلم أهل المشرق؟

فقال عمران بن موسى الطرسوسي:

- ومن هو يا أبا عبد الله؟

قال سفيان الثوري:

- عبد الله بن المبارك.

فتساءل عمران بن موسى الطرسوسي:

- وهو أعلم أهل المشرق؟

قال سفيان بن سعيد الثوري:

- نعم وأهل المغرب.

بث العلم:

عوتب عبد الله بن المبارك فيما يقرى من المال في البلدان ولا يفعل في أهل بلده كذلك.

فقال أبو عبد الرحمن:

- إني أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق طلبوا الحديث وأحسنوا الطلب، فاحتاجوا، فإن تركناهم ضاع علمهم، وإن أعناهم بثوا العلم لأمة محمد ﷺ، ولا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم.

من ابتاع دنياه بدينه:

قال أبو أمية الأسود:

- سمعت عبد الله بن المبارك يقول: أحب الصالحين ولست منهم، وأبغض الصالحين وأنا شر منهم.

ثم أنشأ عبد الله يقول:

::
:
::
الصمت أزين بالفتى : من منطق في غير حينه
والصدق أجمل بالفتى :: في القول عندي من يمينه
وعلى الفتى بوقاره : سمة تلوح على جبينه
فمن الذي يخفى عليك :: إذا نظرت إلى قرينه
رب امرئ متيقن : غلب الشقاء على يقينه
فأزاله عن رأيه :: فابتاع دنياه بدينه
:
::
:

يرحمك الله:

عطس رجل عند عبد الله بن المبارك فلم يحمد الله.

فقال ابن المبارك:

- ايش يقول العاطس إذا عطس؟

قال الرجل:

- يقول: الحمد لله.

فقال أبو عبد الرحمن له:

- يرحمك الله.

نجوت بكلمة علمنيها ابن المبارك:

قال ابن وهب:

رأى رجل سهيل بن علي في المنام فقال له:

- ما فعل بك ربك؟

قال سهيل بن علي:

- نجوت بكلمة علمنيها ابن المبارك.

قال الرجل:

- ما تلك الكلمة؟

قال سهيل بن علي:

- قال الرجل: يا رب عفوك عفوك.

الدَّيْن:

جاء رجل إلى عبد الله بن المبارك فسأله أن يقضي دَيْنًا عليه.

فكتب أبو عبد الرحمن إلى وكيل له.

فلما ورد عليه الكتاب قال له الوكيل:

- كم الدين الذي سألت فيه عبد الله أن يقضيه عنك؟

قال الرجل:

- سبعمائة درهم.

فكتب الوكيل إلى ابن المبارك:

- إن هذا الرجل سألك أن تقضي سبعمائة درهم فكتبت له بسبعة آلاف، وقد فَنيتْ الغَلاَّت.

فكتب ابن المبارك لوكيله:

إن كانت الغلات قد فنيت فإن العمر أيضًا قد فنى، فأجر له ما سبق به قلمي.

الرجل الملثم:

خرج عبد الله بن المبارك في سرية إلى بلاد الروم، فصادفوا العدو، فلما التقى الصفان خرج رجل من بني الأصفر فقال:

- هل من مبارز؟

فخرج إليه رجل فطارده ساعة فطعنه فقتله.

ثم خرج رجل آخر من الروم فطلب البراز، فخرج إليه رجل فلم يمهله وأطاح برأسه وخرج آخر من العدو فطارده ذلك الرجل ساعة ثم طعنه فقتله.

فازدحم المسلمون على ذلك الرجل، وكان عبدة بن سليمان ممن ازدحم عليه فإذا هو مثلم وجهه بكمه، فأخذ عبدة بن سليمان بطرف كم الرجل فمده فإذا هو عبد الله بن المبارك.

فقال لعبدة بن سليمان:

- وأنت يا أبا عمرو ممن يشنع - الشناعة: وهي القبح - علينا.

شهر رمضان:

كان أبو عبد الرحمن عند أبي الأحوص، فجاء رجل وقال:

- أنا رسول فلان الشعبي بعض الولاة يقرئك السلام ويقول: يا أبا الأحوص هذا شهر رمضان وقد وسعنا على عيالنا وهذه ألف درهم توسع بها عليهم في هذا الشهر.

فقال أبو الأحوص:

- فعل الله به وفعل به.

ثم قال لرسول الوالي:

- قل له: يدعها عنده حتى إذا احتجنا إليها بعثنا فأخذناها.

فانسل عبد الله بن المبارك إلى منزله فجاء بصرة بها ألف درهم وقال:

- يا أبا الأحوص هذه الألف تنفقها فإني لا آمن أن يكون قد بلغ أهلك - أن الوالى قد بعث إليك ألف درهم فلم تقبلها - فيخاصمونك، وهذه من وجه أرجو أن تكون أطيب.

فقبل أبو الأحوص الصرة التي بها الدراهم.

الكلمة:

قال ابن المبارك:

اجتمع أربعة ملوك، ملك فارس، وملك الروم، وملك الهند، وملك الصين، فتكلموا بأربع كلمات، كأنما رمى بهن عن قوس واحدة.

فقال أحدهم:

- أنا على قول ما لم أقل أقدر مني على رد ما فعلت.

وقال الآخر:

- إذا قلتها ملكتني وإذا لم أقلها ملكتها.

وقال الآخر:

- لم أندم على ما لم أقل، وقد أندم على ما قلت.

وقال الآخر:

عجبت لمن يتكلم بالكلمة إن رفعت عليه ضرته، وإن لم ترفع عليه لم تنفعه.

* يقول ابن المبارك:

كان عمر بن العزيز يقول:

نسر بما يفنى ونفرح بالمنى كما اغتر باللذات في النوم حالم
نهارك يا مغرور سهو وغفلة وليلك نوم والردى لك لازم
وسعيك فيما سوف تكره غبه كذلك في الدنيا تعيش البهائم

الحسنة:

قال ابن المبارك:

إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام:

- يا داود اسمع مني، والحق أقول، من لقيني بحسنة واحدة حكمته في رحمتي.

قال داود عليه السلام:

- يا رب وما تلك الحسنة؟

قال الله عز وجل:

- من فرج عن مكروب كربته.

يقول عبد الله بن المبارك:

- قال رسول الله ﷺ :

- من فرج عن أخيه كربة من كرب الدنيا، فرج الله عنه كربة من كرب الآخرة، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه .

عبد الله بن المبارك والقرآن:

سئل عبد الله بن المبارك عن كتابة القرآن بالذهب أو تخلط به زينة الدنيا.

فقال أبو عبد الرحمن:

- قال رسول الله ﷺ :

- أعطوا أعينكم حظها من العبادة .

قالوا:

- يا رسول الله وما حظها من العبادة؟

قال ﷺ :

- **النظر في المصحف والتفكير فيه والاعتبار عند عجائبه .**

وقال ﷺ :

- **أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن نظرًا .**

ونهى رسول الله ﷺ أن يقال:

- مسيجد أو مصيحف.

كما نهى خاتم الأنبياء ﷺ أن ألا يخلط ما ليس منه، كما حرم ألا يحلى بالذهب ولا يكتب بالذهب فتخلط به زينة الدنيا.

وقال عبد الله بن المبارك:

- مر رسول الله ﷺ بكتاب في أرض فقال لشاب من هذيل:

ما هذا؟

قال الشاب:

- من كتاب الله كتبه يهودي.

فقال أبو القاسم ﷺ :

- **لعن الله من فعل هذا، لا تضعوا كتاب الله إلا موضعه .**

وسئل ابن المبارك عن قوله تعالى:

{ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ } [سورة البقرة الآية: ١٨٨].

فقال:

- لأن أرد درهما من شُبْهَة أحب إلى من أن أتصدق بمائة ألف ومائة.

وسئل ابن المبارك عن قوله تعالى:

{وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾} [سورة الأعراف الآية: ٢٠٤].

قال ابن المبارك:

- أنها نزلت في الخطبة - خطبة الجمعة -.

وسئل ابن المبارك عن قوله تعالى:

{إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾} [سورة الكهف الآية: ١٠].

فقال:

الاعتزال عن الناس مرة يكون في الجبال والشعاب، ومرة في السواحل والرباط، ومرة في البيوت.

وقد جاء في الخبر:

- إذا كانت الفتنة فأخف مكانك وكف لسانك.

والعزلة: اعتزال الشر وأهله بقلبك وعلمك إن كنت بين أظهرهم.

قال ابن المبارك:

- أن تكون مع القوم فإذا خاضوا في ذكر الله فخض معهم، وإن خاضوا في غير ذلك فاسكت.

وسئل ابن المبارك عن قوله تعالى:

{أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ} [سورة الكهف الآية: ٥٠].

قال رسول الله ﷺ :

- إن الشيطان ليتمثل في صورة الرجل فيأتي القوم فيحدثهم بالحديث من الكذب فيتفرقون فيقول الرجل منهم: سمعت رجلاً

أعرف وجهه ولا أدري ما يحدث (رواه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود).

وقال الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ :

- لا تكونن إن استطعت أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها فإنها معركة الشيطان وبها ينصب رايته (رواه الطبراني في الكبير عن سلمان الفارسي).

وقال ابن المبارك عن سفيان عن عطاء بن السائب عن أبي موسى:

- قال رسول الله ﷺ :

إذا أصبح إبليس بث جنوده فيقول: من أضل مسلمًا ألبسته التاج، فيقول له القائل:

لم أزل بفلان حتى طلق زوجته.

قال إبليس:

- يوشك أن يتزوج - يوشك أن يردها -.

ويقول آخر:

- لم أزل بفلان حتى عق - عق والديه -.

قال إبليس:

- يوشك أن يبر.

ويقول القائل:

- لم أزل بفلان حتى شرب - شرب خمرًا -.

قال إبليس:

- أنت.

وقال قائل:

- لم أزل بفلان حتى زنى.

قال إبليس:

- أنت.

وقال قائل:

- ما زلت بفلان حتى قتل.

قال إبليس:

- أنت أنت.

وسئل ابن المبارك عن قوله تعالى:

{ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ} [سورة النور الآية: ٢٢].

نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق، ومسطح بن أثاثة ذلك أنه كان ابن بنت خالته، وكان مسطح من المهاجرين البدريين - الذين شهدوا بدرًا - المساكين، وكان أبو بكر الصديق ينفق عليه لمسكنته وقرابته.

ولما وقعت حادثة الإفك، وقال مسطح ما قال، حلف أبو بكر ألا ينفق عليه ولا ينفعه بنافعة أبدًا فجاء مسطح واعتذر وقال:

- إنما كنت أغشى مجالس حسان بن ثابت - شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم - فأسمع ولا أقول.

فقال أبو بكر الصديق:

- لقد ضحكت وشاركت فيما قيل.

ومَرّ أبو بكر على يمينه فنزلت الآية.

قال عبد الله بن المبارك:

هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى.

فقال أبو بكر:

- والله إني أحب أن يغفر الله لي.

فرجع إلى مسطح بن أثاثة النفقة التي كانت ينفق عليه وقال:

- لا أنزعها منه أبدًا.

وسئل عبد الله بن المبارك عن قوله تعالى:

{أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ } [سورة الجاثية الآية: ٢٣].

قال رسول الله ﷺ :

- **ما عبد تحت السماء إله أبغض إلى الله من الهوى .**

وقال الصادق المصدوق ﷺ :

- **لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به** رواه الحكيم، وأبو نصر السجزي في الإبانة والخطيب عن عبد الله بن عمرو).

وقال ابن المبارك:

ومن البلايا للبلاء علامة : ألا يرى لك عن هواك نزوع
العبد عبد النفس في شهواتها :: والحر يشبع تارة ويجوع

وسئل ابن المبارك عن قوله تعالى: { وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ } [سورة القلم الآية: ٤].

فقال في وصف الخلق:

- هو بسط الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى.

قال السراج المنير ﷺ :

- **اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن** (رواه الترمذي).

وقال صاحب الخلق العظيم ﷺ :

- **ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله تعالى ليبغض الفاحش البذيء** (رواه الترمذي عن أبي الدرداء).

وسئل ابن المبارك عن قوله تعالى: {وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ} [سورة الحجرات الآية: ١١].

تضمنت الآية المنع من تلقيب الإنسان بما يكره، ويجوز تلقيبه بما يحب، فقد لقب رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب بالفاروق، ولقب أبا بكر بالصديق، وحمزة بن عبد المطلب بأسد الله، وخالد بن الوليد بسيف الله.

قال رسول الله ﷺ :

- **من حق المؤمن على المؤمن أن يسميه بأحب أسمائه إليه** .

وسئل عبد الله بن المبارك:

- الرجل يقول: حميد الطويل، وسليمان الأعمش، وحميد الأعرج، ومروان الأصفر.

فقال أبو عبد الرحمن:

- إذا أردت صفته ولم ترد عيبه فلا بأس به.

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن سرجس قال:

رأيت الأصلع - يعني عمر - يقبل الحجر (في رواية الأصلع).

وقد وصف رسول الله ﷺ عددًا من أصحابه بأوصاف صارت لهم

من أجل الألقاب.

وسئل عبد الله بن المبارك عن قوله تعالى: { وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ } [سورة النجم الآية: ٣٩].

قال عبد الله بن المبارك:

- قال رسول الله ﷺ : **إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**

(أخرجه مسلم كتاب الوصية باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته عن أبي هريرة، والإمام أحمد).

وهذا كله تفضل من الله عز وجل، كما أن زيادة الأضعاف فضل منه، كتب لهم بالحسنة الواحدة عشرًا إلى سبعمائة ضعف إلى ألف ألف حسنة، كما قيل لأبي هريرة:

- أسمعت رسول الله يقول: إن الله ليجزي على الحسنة الواحدة ألف ألف حسنة؟

فقال أبو هريرة:

- سمعته يقول: **إن الله ليجزي على الحسنة الواحدة ألفي ألف حسنة** .

فهذا تفضل، وطريق العدل: (أن ليس للإنسان إلا ما سعى).

وقيل وسئل ابن المبارك عن قوله تعالى:{ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ } [سورة القلم الآية: ٤].

فقال: تقول أم المؤمنين عائشة:

- ما كان أحد أحسن خلقًا من رسول الله ﷺ، ما دعاه أحد من الصحابة ولا من أهل بيته إلا قال: لبيك، ولذلك قال الله تعالى: { وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ } [سورة القلم الآية: ٤].

ولم يذكر خلق محمود إلا وكان لمحمد ﷺ الحظ الأوفر.

وسمى خلقه عظيمًا لأنه لم تكن له همة سوى الله تعالى، ولاجتماع مكارم الأخلاق فيه.

وقال ﷺ :

- ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وأن الله تعالى ليبغض الفاحش البذيء .

وقال عليه الصلاة والسلام:

- ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، فإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة (رواه الترمذي، وأبو داود عن أبي الدرداء).

وقال أبو عبد الرحمن:

- حسن الخلق: هو بسط الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى.

عبد الله بن المبارك ورواية الحديث عن كاشف الظلمة ﷺ :

أسند عبد الله بن المبارك عن جماعة من كبار التابعين وروى عن كبار الأئمة: كسفيان بن سعيد الثوري، والأوزاعي، والحمادين في نظرائهم، وكان أحد أئمة المسلمين.

قال عبد الله بن المبارك عن ابن عون عن ابن سيرين عن أبي هريرة:

إن النبي ﷺ سهى ثم سجد سجدتين.

قيل لابن سيرين:

- هل سلم؟

قال ابن سيرين:

- ثبت عن عمر أنه سلم (متفق عليه).

قال ابن المبارك عن خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس:

- قال رسول الله ﷺ : **البركة مع أكابركم** (رواه أبو نعيم في الحلية).

قال ابن المبارك:

- البركة في الغزو.

قال محمد بن المبارك عن أنس قال:

قال رسول الله ﷺ : **ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فإن أهل النار يبكون حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو أن سفنًا أجريت فيها لجرت** (أخرجه ابن المبارك عن أنس، وابن ماجه أيضًا).

وقال ابن المبارك:

كنت عند المنصور جالسًا فأمر بقتل رجل فقلت:

- يا أمير المؤمنين، قال رسول الله ﷺ : **إذا كان يوم القيامة نادى مناد بين يدي الله عز وجل: من كانت له يد عند الله فليتقدم، فلا يتقدم إلا من عفا عن ذنب** .

فأمر أمير المؤمنين المنصور بإطلاق سراح الرجل.

فقال ابن المبارك:

{وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ} [سورة آل عمران الآية: ١٣٤].

أي يثيبهم على إحسانهم.

وقال الصادق المصدوق ﷺ :

- **من ظلم شبرًا من الأرض خنق به يوم القيامة** (رواه أبو نعيم في الحلية).

وقال عبد الله بن المبارك عن موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه:

- أكثر ما رأيت النبي ﷺ يحلف بهذه اليمين: **لا ومقلب القلوب** (رواه أبو نعيم في الحلية).

قال أبو القاسم ﷺ :

- **لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج .**

قلنا:

- وما الهرج؟

قال عليه الصلاة والسلام:

- **القتل** (رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي موسى).

وقال ابن المبارك عن سليمان التميمي عن أنس بن مالك:

إن النبي ﷺ قال: **رأيت ليلة أسري بي رجالاً تقطع ألسنتهم بمقاريض من نار فقلت:**

من هؤلاء يا جبريل؟

قال:

- **هؤلاء خطباء من أمتك يأمرون الناس بما لا يفعلون** (رواه أبو نعيم في الحلية).

قال عبد الله بن المبارك عن سليمان التميمي عن أنس:

كنت قائمًا على الحي أسقيهم، عمومتي وأنا أصغرهم، الفضيح - شراب يتخذ من البسر وحده من غير أن تمسه النار -.

فقيل:

- حرمت الخمر.

فكفأناها (متفق عليه).

وقال صاحب لواء الحمد ﷺ :

- **أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإن شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله واستقبلوا قبلتنا وصلوا جماعتنا، وأكلوا ذبيحتنا، حرمت علينا دماؤهم وأموالهم، لهم ما للمسلمين** (أخرجه البخاري في صحيحه حديث ابن المبارك).

وقال السراج المنير ﷺ :

- **مثل المجاهد في سبيل الله كالصائم القائم بآيات الله آناء الليل وآناء النهار مثل هذه الاسطوانة** (رواه أبو نعيم عن أبي هريرة).

وقال ابن المبارك عن عوف عن ابن سيرين عن أبي هريرة:

إن رسول الله ﷺ قال: **أبردوا بالصلاة في الحر فإن حرها من فيح جهنم أو فيح جهنم** (رواه الإمام أحمد، وابن حبان في صحيحه، والطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الحلية).

قال ابن المبارك عن سليمان التميمي عن أنس:

عطس رجلان عند النبي ﷺ فشمت رسول الله أحدهما، ولم يشمت الآخر وقال:

- **إن هذا قال: الحمد لله، ولم تقل أنت: الحمد لله** (متفق عليه).

قال عليه الصلاة والسلام:

- **أمرني جبريل أن أيسر** (رواه أبو نعيم في الحلية عن عبد الله بن عمر.

وقال الرحمة المهداة ﷺ :

- **نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ** (متفق عليه).

قال الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ :

- **يا أمة محمد إن أحدًا ليس أغير من الله أن يرى عبده أو يرى أمته،**

يا أمة محمد لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا، ألا هل بلغت (رواه أبو نعيم في الحلية عن عائشة).

وقال ابن المبارك عن أبي بكر بن أبي مريم عن شداد بن أوس:

قال رسول الله ﷺ : **الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والفاجر من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله** (رواه الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه، والحاكم في المستدرك عن شداد بن أوس).

قال إمام الخير ﷺ :

قال تعالى: أحب ما تعبدني به عبدي النصح لي (رواه الإمام أحمد عن أبي أمامة).

وقال ابن المبارك عن يحيى بن أيوب عن أبي أمامة عن عقبة بن عامر قال:

- يا نبي الله ما النجاة؟

قال ﷺ :

- **أن تمسك عليك لسانك، ويسعك بيتك، ابك على خطيئتك** (رواه أبو نعيم في الحلية عن عقبة بن عامر).

قال عبد الله بن المبارك عن مصعب بن ثابت عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه:

كان رسول الله ﷺ يسلم - في صلاته - عن يمينه وعن شماله حتى

يرى بياض خده (رواه أبو نعيم في الحلية).

وقال ابن المبارك عن سعد بن أيوب عن عبد الله بن جنادة عن عبد الله بن عمرو:

مر رسول الله ﷺ برجل يحلب شاة فقال:

- **إذا حلبت فأبق لولدها، فإنها من أبر الدواب** (رواه أبو نعيم في الحلية عن ابن عمرو).

قال إمام الزاهدين ﷺ :

- **ما زان الله العباد بزينة أفضل من زهادة الدنيا وعفاف في بطنه وفرجه** (رواه أبو نعيم في الحلية عن عبد الله بن عمر).

وقال ابن المبارك عن يحيى بن أيوب عن وهبة الله بن جنادة عن عبد الرحمن بن عمرو:

- قال رسول الله ﷺ :

- **الدنيا سجن المؤمن وسنته، فإذا فارق الدنيا فارق السجن والسنة** (رواه الإمام أحمد، والطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الحلية، والحاكم في المستدرك عن عبد الله بن عمر).

السِّنَة: المراد بها في الحديث الجدب والقحط.

وقال نبي الرحمة ﷺ :

- **ما رأيت مثل الجنة نام طالبها، ولا رأيت مثل النار نام هاربها** (رواه الترمذي كتاب صفة جهنم عن أبي هريرة).

قال ابن المبارك عن يحيى بن عبد الله قال:

- سمعت أبي يقول: ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين، فضرب أحدهما فقال:

- **اللهم منك وإليك، اللهم إن هذا عن محمد وأهل بيته .**

ثم قرب الآخر فقال:

- **بسم الله اللهم منك وإليك، اللهم هذا عمن وحدك من أمتي** (رواه أبو نعيم في الحلية).

وقال المبعوث للناس كافة ﷺ :

- **مثل المؤمن والإيمان كمثل الفرس في أجمته تجول ثم يرجع إلى أجمته، وإن المؤمن يسهو ثم يرجع إلى الإيمان، فأطعموا طعامكم الأتقياء، وولوا معروفكم المؤمن** (رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي سعيد الخدري).

قال رسول الله ﷺ ذات ضحى لأصحابه:

- **إن شئتم أنبأناكم بأول ما يقول الله عز وجل للمؤمنين يوم القيامة، وبأول ما يقولون؟** .

قالوا:

- نعم يا رسول الله.

قال عليه الصلاة والسلام:

- **يقول الله للمؤمنين: قد أحببتم لقائي؟ فيقولون: نعم يا ربنا، فيقول: لم؟ فيقولون: رجونا عفوك ورحمتك، فيقول: إني قد أحببت لكم رحمتي** (رواه أبو نعيم في الحلية عن معاذ).

وقال صاحب الخلق العظيم ﷺ :

- **من أنعش حقًا بلسانه جرى أجره حتى يأتي الله يوم القيامة فيوفيه ثوابه** (رواه سمويه، وأبو نعيم في الحلية عن أنس).

وقال عبد الله بن المبارك عن يحيى بن أيوب عن عبد الله بن قرظ عن عطاء بن يسر عن أبي سعيد الخدري:

قال رسول الله ﷺ :

- **من صام رمضان فعرف حدوده، وعرف ما ينبغي أن يحفظ - يتحفظ - منه كَفَّر ما قبله** (رواه الديلمي، والخطيب، وابن عساكر، وأبو نعيم في الحلية).

وقال خاتم النبيين ﷺ :

- **كل امرئ في ظل صدقته يوم القيامة حتى يقضي الله بين الناس** (رواه الإمام أحمد، والحاكم في المستدرك عن عقبة بن عامر).

وقال نبي الرحمة ﷺ :

- **للملوك طعامه وكسوته، ولم يكلف من العمل ما لا يطيق** (رواه الإمام أحمد ومسلم، والبيهقي في السنن عن أبي هريرة).

وقال عبد الله بن المبارك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس:

قال رسول الله ﷺ :

- **أول كل شيء خلق الله القلم فأمره فكتب كل شيء يكون** (رواه أبو نعيم في الحلية).

قال عبد الله بن المبارك عن حجاج بن أرطأة عن محمد بن المنكدر عن جابر سئل النبي ﷺ عن العمرة أواجبة هي؟

قال عليه الصلاة والسلام:

- **لا، وأن تعتمروا خير لكم** (رواه أبو نعيم في الحلية).

قال نبي الرحمة ﷺ :

- **تحفة المؤمن الموت** (رواه الطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الحلية، والحاكم في المستدرك، والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن

عمرو).

قال ابن المبارك عن مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد:

- قال رسول الله ﷺ : **يقول الله تعالى لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك.**

فيقول:

- هل رضيتم؟

فيقولون:

- وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعطه أحدًا من خلقك.

فيقول:

- أنا أعطيتكم أفضل من ذلك، أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم (متفق عليه).

قال ابن المبارك عن يونس الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة:

- قال رسول الله ﷺ : **يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفًا تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر .**

يقول أبو هريرة:

فقام عكاشة بن محصن الأسدي فقال:

- يا رسول الله: ادع الله أن يجعلني منهم.

قال الصادق المصدوق ﷺ :

- **اللهم اجعله منهم .**

ثم قام رجل من الأنصار فقال:

- ادع الله أن يجعلني منهم.

قال ﷺ :

- **سبقك بها عكاشة** (متفق عليه).

قال عبد الله بن المبارك عن عمران بن زائدة عن أبي خالد الولي عن أبي هريرة قال:

كانت صلاة رسول الله ﷺ بالليل يخفض طورًا ويرفع طورًا (رواه أبو نعيم في الحلية).

وقال خاتم النبيين صلىالله عليه وسلم :

- **كلكم يحب أن يدخل الجنة؟** .

قالوا:

- نعم جعلنا الله فداك.

قال عليه الصلاة والسلام:

- **فاقصروا من الأمل، وتبينوا حالكم من أنصاركم، واستحيوا من الله حق الحياء** .

قالوا:

- كلنا نستحي من الله.

قال ﷺ :

- **الحياء من الله أن لا تنسوا المقابر والبلى، ولا تنسوا الجوف وما وعى، ولا الرأس وما حوى، ومن يشتهي كرامة الآخرة يدع زينة الدنيا، وهنالك يكون قد استحيى من الله وأصاب ولاية الله** (رواه أبو نعيم في الحلية).

وقال عبد الله بن المبارك عن خالد الحذاء عن أبي عثمان عن أبي موسى قال:

كنا مع رسول الله ﷺ فجعلنا لا نعلو شرفًا ولا نهبط واديًا إلا رفعنا

أصواتنا بالتكبير، فدنا منا النبي ﷺ فقال:

- أيها الناس إنكم لستم تدعون أصم ولا غائبًا، إنما تدعون سمعيًا قريبًا، فاربعوا - أشفقوا - على أنفسكم .

ثم قال عليه الصلاة والسلام:

- يا عبد الله بن قيس - يا أبا موسى الأشعري - ألا أعلمك كلمة من كنور الجنة .

قال أبو موسى الأشعري:

- بلى يا رسول الله فداك أبي وأمي.

قال عليه الصلاة والسلام:

- لا حول ولا قوة إلا بالله (متفق عليه).

وقال النذير البشير ﷺ :

- إني لأتقلب إلى أهلي فأجد التمرة ساقطة على فراشي فلا أدري أمن تمر الصدقة هي أم من تمر أهلي فلا آكلها (متفق عليه، أخرجه البخاري من حديث ابن المبارك عن معمر).

وقال الذي أوتي جوامع الكلم ﷺ :

- إن الرجل ليتكلم بالكلمة من الخير لا يعلم مبلغها فيكتب له بها رضوانه إلى يوم القيامة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من الشر لا يعلم مبلغها من الشر فيكتب له سخطه حتى يوفاه يوم القيامة (رواه أبو نعيم في الحلية عن بلال بن الحارث).

وقال الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ :

- إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك جلساءه يهوي بها أبعد من الرياء - الثريا - (رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة).

وقال معلم البشرية ﷺ :

- **خيار أمتي علماؤها، وخيار علمائها خيارها، ألا وإن الله يغفر للعالم أربعين ذنبًا قبل أن يغفر للجاهل ذنبًا واحدًا، ألا وإن العالم الرحيم يجيء يوم القيامة وإن نوره قد أضاء يمشي فيه بين المشرق والمغرب كما يضيء الكوكب الدري** (رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة).

وقال الحبيب المحبوب ﷺ :

- **من أرضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس، ومن أرضى الناس برضاء الله كفاه الله** (رواه الترمذي، وأبو نعيم في الحلية عن عائشة).

وقال عليه الصلاة والسلام:

- **إذا أتى علىَّ يوم لا أزداد فيه علمًا يقربني إلى الله فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم** (رواه الطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الحلية
عن عائشة).

وقال إمام الخير ﷺ :

- **من حمى مؤمنًا من مأزق بعث له يوم القيامة ملك يحمى له من نار جهنم، ومن رمى مؤمنًا بشيء يريد شينه حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال** (رواه أبو نعيم في الحلية عن معاذ بن أنس الجهني).

وقال عليه الصلاة والسلام:

- **لا وفاء بنذر من معصية الله، وكفارته كفارة يمين** (رواه أبو نعيم في الحلية عن عائشة).

وفاة عبد الله بن المبارك:

لما حضرت عبد الله بن المبارك الوفاة قال له نصير:

- يا أبا عبد الرحمن قل: لا إله إلا الله.

فقال ابن المبارك:

- يا نصير قد ترى شدة الكلام عليَّ فإذا سمعتني قلتها فلا تردها عليَّ حتى تسمعني قد أحدثت بعدها كلامًا فإنما كانوا يستحبون أن يكون آخر كلام العبد ذلك - لا إله إلا الله -.

وتوفى أبو عبد الرحمن بهيت - ناحية في العراق (لواء الديلم) عندها كانت القوافل تقطع الفرات في طريقها بين بغداد وحلب، واشتهرت بالتمر والقمح والخمر - منصرفًا من الغزو لثلاث عشرة خلت من رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين سنة.

وورد على أمير المؤمنين الرشيد كتاب صاحب الحيرة من هيت:

أنه مات رجل بهذا الموضع غريب، فاجتمع الناس على جنازته، فسألت عنه فقالوا:

- عبد الله بن المبارك الخراساني.

فقال الرشيد:

- إنا لله وإنا إليه راجعون.

ثم نادى على وزيره الفضل بن الربيع:

- يا فضل ائذن للناس من يعذرنا في عبد الله بن المبارك.

فأظهر الفضل تعجبًا وقال:

- ويحك إن عبد الله هو الذي يقول:

الله يدفع بالسلطان معضلة :: عن ديننا رحمة منه ورضوانا
لولا الأئمة لم تأمن لنا سبل :: وكان أضعفنا نهبا لأقوانا

:

من سمع هذا القول من مثل ابن المبارك مع فضله وزهده وعظمه في صدور العامة، ولا يعرف حقنا.

قال عبد الرحمن بن عبيد:

- كنا عند الفضيل بن عياض فجاء فتى، فنعى إليه ابن المبارك.

فقال الفضيل بن عياض:

- رحمه الله، أما إنه ما خلف بعده مثله.

قال صخر بن راشد:

- رأيت عبد الله بن المبارك في منامي بعد موته.

فقلت له:

- أليس قدمت؟

قال أبو عبد الرحمن:

- بلى.

قلت:

- فما صنع بك ربك؟

قال عبد الرحمن بن المبارك:

- غفر لي مغفرة أحاطت بكل ذنب.

قلت:

- فسفيان الثوري؟

قال أبو عبد الرحمن:

- بخ بخ ذاك: {مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا } [سورة النساء الآية: ٦٩].

قالوا عن ابن المبارك:

قال سفيان بن عيينة:

- نظرت في أمره وأمر الصحابة فما رأيتهم يفضلون عليه إلا صحبتهم رسول الله ﷺ.

وقال إسماعيل بن عياش:

- ما على الأرض مثله، وما أعلم خصلة من الخير إلا وجعلها الله في ابن المبارك، لقد حدثني أصحابي أنهم صحبوه من مصر إلى مكة فكان يطعمهم الخبيص وهو الدهر صائم.

قال أبو عمر بن عبد البر:

- أجمع العلماء على قبوله وجلالته وإمامته وعدله.

وقال عبد الرحمن بن عبيد الله:

- كنا عند الفضيل بن عياض، فنعى إليه ابن المبارك فقال:

رحمه الله أما إنه ما خلف بعده مثله.

وقال نعيم بن حماد:

كان عبد الله بن المبارك يكثر الجلوس في بيته فقيل له:

- ألا تستوحش؟

فقال:

- كيف أستوحش وأنا مع النبي ﷺ ؟

قال محمد بن فضيل بن عياض:

رأيت عبد الله بن المبارك في المنام فقلت له:

- أي الأعمال وجدت أفضل؟

قال أبو عبد الرحمن:

- الأمر الذي كنت فيه.

فقال محمد بن فضيل:

- الرباط والجهاد؟

قال ابن المبارك:

- نعم.

فقال محمد بن فضيل بن عياض:

- فأي شيء صنع بك ربك؟

قال عبد الله بن المبارك:

- غفر لي مغفرة ما بعدها مغفرة، وكلمني - وزوجني - امرأة من أهل الجنة أو امرأة من الحور العين -.

وقال الأوزاعي لعبد الله بن يزيد بن عثمان الحمصي:

- رأيت عبد الله بن المبارك؟

قال ابن عثمان الحمصي:

- لا.

قال الأوزاعي:

- لو رأيته لقرت عيناك.

وقال عطاء بن مسلم لعبيد بن جناد أبي سعيد؟

- يا عبيد: رأيت عبد الله بن المبارك؟

قال عبيد:

- نعم.

قال عطاء بن مسلم:

- ما رأيت مثله ولا ترى مثله.

قال العمري:

- ابن المبارك يصلح لهذا الأمر.

فقال رجل:

- أي شيء؟

قال العمري:

- الإمامة.

وقال العمري:

- ما رأيت في دهرنا هذا أحدًا يصلح لهذا الأمر إلا رجلاً أتاني إلى منزلي فأقام عندي ثلاثًا يسألني غير ما يسألني عنه أهل هذا الدهر، فصيح اللسان، إلا أن اللغة شرقية، يكنى أبا عبد الرحمن، معه غلام يقال له: سفير.

فقالوا:

- هذا عبد الله بن المبارك.

قال العمري:

- هكذا ينبغي، إن كان معي أحد يصلح لهذا الأمر فذاك.

قال عبيد بن جناد:

- يعني الاقتداء بالعلم.

وقال أبو إسحاق الفزاري:

- ابن المبارك إمام المسلمين.

وقال عبد الرحمن بن مهدي:

- ما رأيت عيناى مثل سفيان - الثوري -، ولا أُقدِّم على عبد الله بن المبارك أحدًا.

وقال ابن مهدي:

- ابن المبارك آدب عندنا من سفيان.

وقال سفيان الثوري:

- لو جهدت أن أكون في السنة ثلاثة أيام على ما عليه ابن المبارك لم أقدر.

وسأل محمد بن المعتمر بن سليمان أباه:

- يا أبت من فقيه العرب؟

قال المعتمر بن سليمان:

- سفيان الثوري.

فلما مات سفيان بن سعيد الثوري، سأل محمد بن المعتمر أباه مرة أخرى.

- من فقيه العرب؟

قال المعتمر بن سليمان:

- عبد الله بن المبارك.

من أقوال عبد الله بن المبارك:

* ليكن الذي يعتمدون عليه هذا الأثر، وخذوا من الرأي ما يفسر لكم الحديث.

* من بخل بالعلم ابتلي بثلاث: إما موت فيذهب عمله، وإما ينسى، وإما يصحب فيذهب عمله.

* أول منفعة الحديث أن يفيد بعضهم بعضًا.

* إذا ابتليت بالقضاء فما بك بالأثر.

* سأل رجل ابن المبارك عن الرباط - الجهاد في سبيل الله - فقال:

- رابط بنفسك على الحق حتى تقيمها على الحق، فذلك أفضل

الرباط.

* لو أن رجلين اصطحبا في الطريق فأراد أحدهما أن يصلي ركعتين فتركهما لأجل صاحبه كان ذلك رياء، وإن صلاهما من أجل صاحبه فهو شرك.

* طلبنا الأدب حين فاتنا المؤدبون.

* إذا عرف الرجل قدر نفسه يصير عند نفسه أذل من الكلب.

* إذا استطعت أن تكون مهتارًا بذكر الله فكن.

* استعد للموت ولما بعد الموت.

* يكون مجلسك مع المساكين، وإياك أن تجلس مع صاحب بدعة.

* قال الحارث:

- أكلت عن صاحب بدعة أكلة.

فبلغ ذلك عبد الله بن المبارك فقال:

- لا كلمتك ثلاثين يومًا.

* لو أن رجلاً اتقى مائة شيء ولو يتورع عن شيء واحد لم يكن ورعًا، ومن كان فيه خلة من الجهل كان من الجاهلين، أما سمعت الله تعالى قال لنوح عليه السلام:

-{رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي} [سورة هود الآية: ٤٥].

فقال تعالى:

-{إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ} [سورة هود الآية: ٤٦].

* حب الدنيا في القلب والذنوب احتوشته، فمتى يصل الخير إليه؟

* أهل الدنيا خرجوا من الدنيا قبل أن يتطعموا أطيب ما فيها.

* قيل لابن المبارك:

- وما أطيب ما فيها؟

قال أبو عبد الرحمن:

- المعرفة بالله عز وجل:

* كن محبًا للخمول كراهية الشهرة، ولا تظهرن من نفسك أن تحب الخمول فترفع نفسك، فإن دعواك الزهد من نفسك هو خروج من الزهد، لأنك تجر إلى نفسك الثناء والمدحة.

* * *